الى سياسات قادتها، سواء أكانت خاطئة أم صائبة.

ويبدو واضحاً لقارىء كتاب «اللوبي؛ السطوة السياسية اليهودية والسياسة الخارجية الاميركية»، انه، على الرغم من تسليم تيفنان بوجود «العضلات اليهودية» في مجال صنع القرار وتوجيه السياسة الاميركية، فانه ذهب في رحلة استطلاع تاريخية للكيفية التي نشأ بها اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة، بازاء معارضة قوية ونشطة من جانب غالبية اليهود الاميركيين وزعمائهم. بل وحتى بعد تأسيس دولة اسرائيل، اتخذت تلك الغالبية موقف التعاطف والتأييد من الدولة اليهودية «ليس على اساس الانتماء بالولاء اليها، بل على اساس خيري بحت، تمثّل في تبرّعهم السخي المتواصل بمبالغ ضخمة من المال لمساعدة اليهود المضطهدين الذين وجدوا الملاذ ممّا عانوه، تاريخياً، من اضطهاد ومذابح في روسيا واوروبا الوسطى والغربية، في اسرائيل». وانطلاقاً من هذه الرؤية «الخيرية» لعضلات اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة، استشهد المؤلف بقول للحاخام واين، مؤسس الحركة الاصلاحية اليهودية الاميركية: «اننا نعارض، بصورة لا هوادة فيها، الصهيونية السياسية. ان صهيون كانت شيئاً ثميناً امتلكناه في الماضي، الّا انها ليست املنا للمستقبل. فأميركا هي صهيوننا» (ص ١٤ ـ ١٥). وامعاناً في التأكيد، أبرز المؤلف ما ذكره، ذات مرة، الملياردير النفطي جاكوب بلاوستن، عن اليهود الاميركيين، سواء من الصهيونيين او من غير الصهيونيين، بأنهم مرتبطون بأميركا ارتباطاً عميقاً: «فبالنسبة الى هؤلاء، أميركا هي الوطن، وجذورهم ضاربة بعمق في تربتها السخيّة، وأحوالهم مزدهرة فيها» (ص ٣١).

لتدعيم هذه الفكرة، لجأ المؤلف، في الفصل الاول، الى المعطيات الاحصائية، فذكر ان اسرائيل «لم تجتذب الّا عدداً ضئيلاً للغاية من اليهود الاميركيين؛ فخلال السنوات الثلاث الاولى بعد تأسيسها، استوعبت اسرائيل ٦٥٠ ألفاً من المهاجرين، معظمهم من مشرّدي الحرب الاوروبيين... [ومن يهود] عدد من الدول العربية، امّا الاميركيون، فعلى الرغم من ان انشاء اسرائيل حرّك نفوسهم بقوة، الّا انه لم يحرّكهم الى درجة الذهاب اليها. كما لم يبق في اسرائيل من الاميركيين والكنديين البالغ عددهم ٣٥ ألفاً، الذين هاجروا الى اسرائيل خلال العقد الاول من انبثاقها، الّا ٥٤٠٠ اميركي فقط» (ص ٢٩).

على ان تفضيل معظم اليهود الاميركيين لأن يظلوا اميركيين ظل مصدر توتّر وعداء لا يستهان به بين زعماء اليهود الاميركيين، من جهة، وقادة اسرائيل، من جهة اخرى. وضرب تيفنان مثلاً على ذلك «التوتر والعداء» بتصميم دافيد بن ـ غوريون على «تدمير منظمات اليهود الاميركيين»، بدلاً من الدخول في حوار معها، وأشار، بصفة خاصة، الى دور بن ـ غوريون في التخلص من زعامة الحاخام سيلفر للحركة الصهيونية في اميركا، ومباركته لسيطرة «رجال المال غير الصهيونيين، محل سيلفر وغيره، في تزعّم اليهود الاميركيين» (ص ٣١).

هكذا بلور المؤلف الفكرة الناظمة للكتاب بالقول: كان هناك خلاف جذري بين قادة اليهود الاميركيين والزعماء الاسرائيليين تمحور في قضية الهجرة الى اسرائيل، وفي عدم الاعتراف باليهودية «الاصلاحية» و«المحافظة» لدى الاميركيين، من جانب المؤسسة الاسرائيلية. وهذا يبيّن «مقدار الفجوة بين أهداف اليهود الاميركيين وأبناء عمومتهم في اسرائيل». ففي حين أخذ القادة الصهيونيون على عاتقهم القيام بتجربتهم «الاجتماعية الكبرى في الارض الموعودة»، انشغل المهاجرون الى الولايات المتحدة بالقيام برحلة كبرى من «الغيتو» الى «ضواحي المدن الاميركية». وفي غمار تلك الرحلة الاميركية، تكاثرت «المعابد» و«المراكز اليهودية» في انحاء الولايات المتحدة وضواحي مدنها، لكنها كانت اكتسبت سمات اجتماعية اكثر منها دينية. وكما حدث في حالة كل الاقليات المهاجرة الاخرى، ظلّ المهاجرون اليهود متلهّفين على ان يستوعبوا في المجتمع الاميركي. فاليهود الاميركيون انتابتهم هزّة اثارة عندما تحقق الحلم الصهيوني (باقامة اسرائيل على ارض فلسطين)، لكنهم ما لبث اهتمامهم ان انصرف، بالدرجة الاساس، الى الحلم الاميركي (ص ٣٤ ـ ٣٥).

ضمن هذا المنظار، وفي سياق ترسيخ صورة اليهودي الاميركي الملتزم، التزاماً تاماً، بأميركيّته، المرتبط عاطفياً بيهوديته، كان على تيفنان، لكي لا يبدو مؤلفه ممارسة مجانية لا مؤدّى منها، وتحصيلاً للحاصل في ما خص السطوة التي يعرفها الجميع للوبي اليهودي، ان يعطي القارىء المهتم نوعاً من التسلسل المنطقي